ISSN:2583-2379
المجلد الرابع - العدد الأول مجلة البخاري للعربية والدراسات الإسلامية يناير – يونيو ٢٠٢٤

المحبّة والعطف في أدب التّصوّف – دراسة توصيفي

Mr. Saad Blaly
Research Scholar, School of Arabic & Islamic Studies,
B.S. Abdur Rahman Crescent Institute of Science & Technology.
Chennai, Tamil Nadu, India.
Email: saadblalynabeel@gmail.com

سعد بلالي
الباحث، كلية الدراسات العربية والإسلامية،
جامعة هلال بي. يس. عبد الرحمن للعلوم والتكنولوجيا،
تشنائي، الهند.

Dr. A. Abdul Hai Hasani Nadwi
Research Supervisor, Dean & Assistant Professor,
School of Arabic and Islamic Studies,
B.S. Abdur Rahman Crescent Institute of Science & Technology
Chennai, Tamil Nadu, India.
Email: hainadwi@crescent.education

الدكتور عبد الحي الحسني الندوي
المشرف، عميد كلية الدراسات العربية والإسلامية،
جامعة هلال بي. يس. عبد الرحمن للعلوم والتكنولوجيا،
تشنائي، الهند.

Abstract

Sufism holds a significant and esteemed place in Arabic literature. Sufi writings have often captivated the minds and souls of people, leading their hearts to understand the essence of life, which is love and compassion. In their discussions, Sufis frequently emphasize that love and compassion are at the core of Sufism and even claim that they are the reason for the creation of the universe. They derive this from their deep interpretation of the Hadith Qudsi: "I was a hidden treasure, and I desired to be known, so I created the creation. "The great Sufi scholar Ibn Arabi, in his work "Al-Futuhat Al-Makkiyah," interpreted this Hadith as follows: "When he mentioned love, we learned about the reality of love and its attributes, which the lover finds within himself. We explained that love is only connected to the non-existent, as it can only be valid when its existence is absent. Sufis assert that love for God is the ultimate goal that enables a person to understand the truth of their soul. When a person's heart is illuminated by the love of the Truth (God), they radiate compassion and kindness towards all of creation. Love and compassion became the foundation of Sufi philosophy, contributing significantly to Arabic literature, both in prose and poetry. This paper seeks to explore the words of Sufis regarding love and compassion and how they described these concepts in their writings, whether in prose or poetry. It also aims to examine the impact of their ideas on society through a descriptive research approach, avoiding unnecessary verbosity. The paper delves into the thoughts of some of the prominent Sufi saints such as Jalaluddin Rumi, Sheikh Abdul Qadir al-Jilani, Imam Ghazali, Ibn Arabi, Hallaj and Rabiya who are considered to be the most dependable scholars of Sufism. Love for God and compassion for creation are central themes in Sufism, and Sufis seek profound and sincere love for God, His Messenger, and all of creation. In a nut shell, this paper aims to describe the stages of love and compassion as classified by Sufis in their eloquent prose and poetry.

Key Words - Sufism, Mystical poetry, Metaphysical, Love, Annihilation

ملخص البحث:

إنّ للتّصوّف شأنا عظيما ومرتبة ضخيمة في الأدب العربي. قد أثرت الأوراق المتصوّفة أذهان النّاسِ وأرواحهم وقادت قلوبهم إلى فهم معنى الحياة وهي المحبّة والعطف. نرى غالبا في كتب الصوفية أنّ المحبّة والعطف أصل التّصوّف بل يدّعون بأنّهما سبب لبدء الخلق ويستدلّون بتأويلهم العمقي للحديث القدسي "كنت كنزاً مخفيّا فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لكي أعرف."[١] وقد أوّل الشيخ الأكبر ابن عربي هذا الحديث في كتابه الفتوحات المكّية كما يلي: "ولما ذكر المحبة علمنا من حقيقة الحب ولوازمه مما يجده المحب في نفسه وقد بيّنا أن الحب لا يتعلق إلا بمعدوم يصح وجوده وهو غير موجود في الحال."[٢] وهناك اختلاف بين الأشاعرة والسّلف في صحّة هذا الحديث. إنّ المتصوّفة يدّعون بأنّ المحبّة إلى الله هي الغاية العظمى التي بها يفهم الإنسان حقيقة روحه وإذا نيّر قلب الانسان بمحبّة الحقّ سبحانه وتعالى يشرق منه نور العطوفة على الخلق. وقد جعلوا المحبّة والعطف أساسا لفلسفتهم وساهموا في الأدب العربي واصفين عنهما نثرا ونظماً.

فإنّ هذه الرّسالة تبحث عن كلامهم في المحبّة والعطف وكيفية وصفهم إيّاهما في النّثر والنّظم. و تبحث أيضا عن الأثر الذي أحدثته على المجتمع بمنهج البحث التّوصيفي طاوياً كشح المقال عن الإطالة والإملال. وتبحث عن أفكار معظم كبار المتصوّفة عن المحبّة والعطف كجلال الدّين الرومي والشيخ عبد القادر الجيلاني وحجة الإسلام الإمام الغزّالي وغيرهم من أئمّة علم العرفانية. المحبّة لله والعطوفة على الخلق موضوع مركزي عند المتصوّفة، وهم يطلبون المحبة العميقة والصادقة لله عزّوجلّ ولرسوله عليه الصلاة والسلام ولجميع الخلق.

بالاختصار، يهدف هذا الورق إلى وصف مراحل المحبّة والعطف على نمط تأليفات الصوفية من أدب النّثر والنّظم.

الكلمات الدّالة: المحبّة، الفلسفة، مثنوي، العطوفة، الشعر الصوفي، التأويل العمقي.

المحبّة أصل التّصوّف:

المحبّة اسم للحبّ وأصله "حبب" وهو لغة نقيض البغض، الحبّ وِداد والمحبّة وكذلك الحِبُّ بالكسر"[٣] . وقد عرّف الأدباء المحبة في كتبهم بأشكال متعددة من سونيتات شكسبير الرومانسية إلى الأبيات الروحية لمولانا رومي. أدب المتصوّفة غنيّ بتفسيرات متنوّعة للحب. يعتقد أنّ تاريخ جعل المحبّة مركزاً للتّصوّف بدأ مع اختراع فلسفة التّصوّف نفسها. ومن حيث منظور أدبي، أُستوصِفت المحبّة وصفاً عظيما لمّا أخذ المتصوّفة المحبّة أصلاً للتّصوّف زاعمين بأنّها هي حقيقة وسبب خلق الله الخلق. وقد ذكر الرحمان المحبّة في آيات القرآن. وعلى الرّغم يقف قول الإمام أبو العلا العفيفي دليلا على دعواتهم "لا مجال إذن للقول بأن نظرية الحب الإلهي نظرية ليست إسلامية، أو أنها لا سند لها من القرآن والحديث، وأنها أمر استحدث عند المسلمين عندما تأثروا بأصحاب الديانات الأخرى كالمسيحية والمانوية، وإن كان لهاتين أثر بالغ في تشكيل هذه النظرية وأساليب التعبير عنها. لقد صرح القرآن بأن الله يحِب ويحَب في مثل قوله تعالى: يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ، وقوله: وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلهِ. ويحكى عن النبي ﷺ لما سأله أبو رزين العقيلي: يا رسول الله، ما الإيمان؟ أنه قال: «أن يكون الله ورسوله أحب إليك من سواهما»، وفي حديث آخر قال: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون الله ورسوله أحب إليه من سواهما".[٤] فبهذين

---

[١] الشعراني في الطبقات ص:٣٠٩

[٢] ابن عربي في فاوحات ص : ١٦٧/٣

[٣] لسان العرب/ محمّد بن مكرّم بن منظور/ حرف الباء)حبب(/ج١ ص٢٨٩

[٤] التّصوّف: ثورة الروحية في الاسلام/ أبو العلا العفيفي/ثورة التّصوف في مجال الحبّ الإلهي ص: ١٧٣

النّصّين من كلام الله ورسوله يدّعي المتصوّفة بأنّ المحبّة نبض التّصوّف. المحبّة مرحلة من مراحل التّصوّف التّي تقيد إلى المرتبة العليا وهو الفناء كما في قول الشاعر الصوفي الحلاج :

"عجبتُ منك و منّي يا مُنْيَةَ المُتَمَنّي

أدنيتَني منك حتّى ظننتُ أنّك أنّي

وغبتُ في الوجد حتّى أفنيتنَي بك عنّي[١]"

جلال الدين الرومي والمحبّة في المثنوي

جلال الدين الرومي (١٢٠٧-١٢٧٣)، والمعروف أيضًا بمولانا، شاعر فارسي وعالم إسلامي وصوفي. يعتبر أحد أعظم الشعراء الصوفيين باللغة الفارسية، وقد تُرجم شعره إلى العديد من اللغات ويُقرأ ويُدرس في أنحاء العالم على نطاق واسع.

ولد الرومي في بلخ بأفغانستان لعائلة من العلماء والفقهاء المسلمين. كان والده بهاء الدين ولد عالماً ومعلماً محترماً. وحذا الرومي حذوه، حيث درس الشريعة الإسلامية وعلم اللاهوت.

في عام ١٢٢٦، فرّت عائلة الرومي من بلخ هربًا من الغزو المغولي. واستقروا في قونية بتركيا، حيث واصل الرومي دراسته وأصبح عالماً ومعلماً محترماً.

في عام ١٢٤٤، التقى الرومي بشمس الدين التبريزي، وهو صوفي متجول. أصبح الرجلان صديقين مقربين، وكان لتعاليم شمس الصوفية تأثير عميق على الرومي. بدأ شعر الرومي يعكس بصائره الروحية الجديدة، وأصبح شخصية رائدة في الطريقة الصوفية.

أشهر أعمال الرومي هو المثنوي المعنوي، وهو ملحمة شعرية من ستة مجلدات تستكشف موضوعات الحب والفقدان والبحث عن الله. يعتبر المثنوي أحد أعظم أعمال الأدب الفارسي، وقد تُرجم إلى العديد من اللغات.

توفي الرومي في قونية عام ١٢٧٣. ضريحه مزار شعبي للمسلمين وغير المسلمين على حد سواء.

فلسفة الرومي

تستند فلسفة الرومي على فكرة وحدة الوجود، أو الاعتقاد بأن كل الأشياء متصلة بالله. لقد علم أن الحب هو الطريق إلى الله، وأننا من خلال الحب، يمكننا أن نتجاوز حدود ذواتنا الفردية ونختبر الإلهي.

شعر الرومي مليء بالحب والشفقة والحكمة. يشجع قراءه على حب جميع الكائنات، بغض النظر عن عرقهم أو دينهم أو وضعهم الاجتماعي. كما يعلم أهمية الغفران والقبول والاستسلام لله.

[١] ديولن الحلّاج / ص-١٠

كان لشعر الرومي تأثير عميق على العالم. لقد ألهمت كلماته أشخاصًا من جميع الأديان والخلفيات، ولا تزال رسالته المتمثلة في الحب والشفقة تتردد صداها اليوم.

مساهمة جلال الدين الرومي في الأدب الصوفي :

يتميز شعر الرومي بعمق البصيرة الروحية وجماله وقوته الغنائية. كتب عن مجموعة واسعة من الموضوعات الصوفية، بما في ذلك طبيعة الواقع، والطريق إلى الله، والعلاقة بين الفرد والله. قد جعل مولانا رومي الحبّ مركزا في شعره وطريقا واصلا إلى الله.

"إذا كان قلبك مملوءًا بالحب،
فسوف ترى الحب في كل شيء.
الحب هو النور الذي يكشف الحقيقة،
وهو الطريق الذي يقودنا إلى الله"[١]

فيما يلي بعض الأمثلة المحددة على مساهمات الرومي في الأدب الصوفي:

- طور مفهوم الحب كطريق مركزي إلى الله:

في شعره، يصف الرومي الحب بين العاشق والمحبوب (الله) كطريق إلى الاتحاد مع الله.

- شدد على أهمية التجربة المباشرة:

في شعره، يصف الرومي تجاربه الروحية الشخصية، مما يشجّع القراء على البحث عن تجاربهم الخاصة.

كتب عن مجموعة واسعة من الموضوعات الصوفية بأسلوب جميل وغنائي. يتميز شعر الرومي بأسلوبه الغني بالصور والمجاز، مما يجعله جذابًا للقراء من جميع الخلفيات.

وقد تم تكييف أعماله في الموسيقى والرقص والمسرح، ولا تزال تلهم أجيالًا جديدة من الفنانين والمفكرين. يعتبر الرومي أحد أهم الشخصيات في تاريخ التصوف، ولا يزال عمله يُدرس ويُقدَّر في جميع أنحاء العالم.

محي الدين عبد القادر الجيلاني والمحبة في الله

"وُلِد عبد القادر الجيلاني في جيلان في سنة ٤٧٠هـ من أسرة تنتسب إلى علي بن أبي طالب (ر). وقد سجلت أَخْيِلَة الشعب حول طفولته وشبابه كثيرًا من الخرافات، فنبَّأتنا إحداها بأنه كان إذا حل شهر رمضان انقطع عن الرضاع. وذكرت لنا خرافة أخرى أنه حين اتجه إلى بغداد في الثامنة عشرة من عمره، عرض له الخضر وحال بينه وبينها سبعة أعوام، وبعد أن زال خوفه عليه من فتن تلك المدينة الزاخرة بالشكوك والريب سمح له بالدخول.

[١] المثنوي/ مولانا جلال الدين رومي/ القصيدة رقم١/ عن أهمية الحب في الحياة الروحية

أما التاريخ الحقيقي، فهو يحدثنا أنه حين شب توجه إلى بغداد ليدرس فيها الفقه على مذهب الحنابلة، وكان ذلك في سنة ٤٨٨هـ، ثم التقى هناك ببعض الصوفية فأخذ عنهم الطريق. وفي سنة ٥٢١هـ بدأ يلقي دروسًا على الجماهير في الوعظ والإرشاد. ثم اشتهر بالصلاح والتقوى. وعلى إثر ذلك نُسِبت إليه كرامات كثيرة وعبارات لم يقُلْها وآراء لم يعتقدها. فمن ذلك مثلًا ما حدثتنا به إحدى الخرافات من أنه كان يقول: إن الأحوال الصوفية عندي أثواب معلقة في حجرة ألبس منها ما أشاء، أو يقول: إذا سألتم الله شيئًا فاسألوه باسمي؛ فإني رئيس الملائكة والإنس والجن، أو يقول: أيها المريد، سافر ألف سنة، لتسمع كلمةً من فمي"[١] أو يحدثنا عن نفسه فيقول: "كنت وأنا ابن عشر سنين في بلدنا أخرج من دارنا وأذهب إلى المكتب سمعت الملائكة عليهم السلام تمشي حولي، فإذا وصلت إلى المكتب سمعت الملائكة يقولون: افسحوا لولي الله حتى يجلس، فمَرَّ بنا يومًا رجل ما عرفته يومئذ، فسمع الملائكة يقولون ذلك، فقال لأحدهم: ما هذا الصبي؟ فقال له أحدهم: هذا من بيت الأشراف، قال: سيكون لهذا شأن عظيم؛ هذا يُعْطَى فلا يُمْنَع، ويُمَكَّن فلا يُحْجَب، ويُقَرَّب فلا يُمْكَر به، ثم عرفت ذلك الرجل بعد أربعين سنةً فإذا هو من الأبدال في ذلك الوقت"[٢] أو كقوله: "كنت صغيرًا في بلدنا فخرجت إلى السواد في يوم عرفة وتبعت بقرة حراثة، فالتفتت إليَّ بقرة وقالت: يا عبد القادر، ما لهذا خُلِقتَ، فرجعتُ فَزِعًا إلى دارنا وصعدت إلى سطح الدار فرأيت الناس واقفين بعرفات، فجئت إلى أمي وقلت لها: هبيني لله عز وجلَّ، وأْذَنِي لي في المسير إلى بغداد أشتغل بالعلم وأزور الصالحين، فسألتني عن سبب ذلك فأخبرتها خبري"[٣]

هو شيخ اهتمّ بالشريعة وداوم عليها حتى بعد وجوده مرتبته العليا و نرى أنّه أشد محبّا ومحبوبا لله ورسوله خلال مساهماته للأدب التصوّف.

مساهمة الشيخ عبد القادر الجيلاني في مجال المحبّة

كان للشيخ عبد القادر الجيلاني مساهمات كبيرة في مجال المحبّة، حيث اعتبرها أساسًا للطريق الصوفي. وقد أوضح ذلك في العديد من أقواله وكتاباته، ومن أبرزها:

- "المحبّة هي روح الدين، والإيمان هو جسده. إذا لم يكن للروح جسد، فإنها لا تعيش. وإذا لم يكن للجسد روح، فإنه لا يتحرك.[٤]"
- "المحبّة هي النور الذي يضيء القلب، ويكشف له الحقيقة.[٥]"
- "المحبّة هي الدافع الذي يدفع الإنسان إلى فعل الخير، والابتعاد عن الشر[٦]"

[١] التصوف والماصوفة/عبد الله حسين/ تفصيلات عن أعيان المتصوّفة
[٢] قلائد الجواهر في مناقب الشيخ عبد القادر/ الشيخ محمّد بن يحي التادفي/ص -١١
[٣] قلائد الجواهر في مناقب الشيخ عبد القادر/ الشيخ محمّد بن يحي التادفي/ص -١٠
[٤] الغنّية/شيخ عبد القادر الجيلاني/باب في محبّة الله تعالى
[٥] الغنّية/شيخ عبد القادر الجيلاني/باب في محبّة الله تعالى
[٦] الغنّية/شيخ عبد القادر الجيلاني/باب في محبّة الله تعالى

وقد ركز الشيخ الجيلاني على أهمية المحبّة في التربية الصوفية، حيث كان يحث أتباعه على أن يكونوا محبين للناس، وأن يعاملوهم بالرحمة والرأفة. وقد كان مثالًا حيًا على هذه المحبّة، حيث كان معروفًا بكرم أخلاقه، وطيب قلبه.

ومن أبرز مساهمات الشيخ الجيلاني في مجال المحبّة:

- تطوير مفهوم المحبّة الإلهية، حيث اعتبرها أساسًا للوحدة بين الإنسان والله.
- التأكيد على أهمية المحبّة بين الناس، باعتبارها أساسًا للمجتمع الفاضل.
- نشر تعاليم المحبّة في جميع أنحاء العالم، حيث أثرت في العديد من الحركات الدينية والروحية.

ولعل أهم مساهمة للشيخ الجيلاني في مجال المحبّة هي أنه جعلها مفهومًا عمليًا يمكن تطبيقه في الحياة اليومية. فقد أوضح أن المحبّة ليست مجرد عاطفة، بل هي سلوك وممارسة. ودعا أتباعه إلى أن يكونوا محبين في كل ما يفعلونه، سواء في تعاملاتهم مع الناس، أو في عباداتهم لله.

وعلى الرغم من مرور القرون على وفاة الشيخ الجيلاني، إلا أن تعاليمه حول المحبّة لا تزال تحظى بأهمية كبيرة في العالم الإسلامي، كما أنها تلهم العديد من الناس من جميع الأديان والثقافات.

الإمام أبو حامد الغزالي

الإمام أبو حامد محمد الغزالي ولد في عام ٤٥٠ هجري في طوس، وهي مدينة في خراسان، إيران. كان والده نساجًا فقيرًا غير متعلم، لكنه كان يستمتع بالاختلاط بالعلماء المتعلمين والصوفية. لذلك، كانت لديه رغبة شديدة في تعليم ولديه محمد وأحمد. ومع ذلك، عندما اقترب الموت منه في سن مبكرة، نصح والده أحد أصدقائه الصوفيين بتحقيق رغبته. بدعم وإرشاد الصوفي، أكمل كلا الأخوين تعليمهما الابتدائي. هو من كبار الإصلاحيين في القرن الخامس الهجري. وتميز بإتقانه لجميع العلوم في عصره بشكل لا مثيل له. اختار الإمام أبو حامد الغزالي الصوفية كأفضل طريق بين جميع الأيديولوجيات السائدة في عصره. كما أنه مارسها بإخلاص في حياته الشخصية وألف عددا من الكتب عنها. على الرغم من التقدير والانتقاد من مختلف الجماعات، فإن كتابه "إحياء علوم الدين" هو تحفة أعماله. منهجيته في الكتابة وتقديم الحقائق ساحرة ومقنعة للغاية لكل من المثقفين وعامة الناس.

شيخه إمام الحرمين الجويني، وهو عالم بارز في المدرسة السنية في تلك الأيام. رعى الشاب الغزالي كقائد فكري ثوري للجيل القادم من شأنه أن يرتقي بالمدرسة السنية وعقيدة الأشاعرة إلى آفاق أعلى. في هذه المؤسسة، برع الإمام الغزالي في جميع التخصصات وأصبح موهوبًا بشكل استثنائي في الخطابة القوية والبلاغة والمناظرات المنطقية والحجج الصعبة ضد الخصوم.

مساهمات الإمام الغزالي في آداب التصوف:

كان للإمام الغزالي مساهمات كبيرة في أدب التصوف، حيث قام بوضع أسس هذا الأدب وتطويره. ومن أهم مساهماته ما يلي:

- إعلاء شأن التصوف وتأكيده على أنه طريق إسلامي صحيح. كان الغزالي من أشد المدافعين عن التصوف، حيث اعتبره طريقًا صحيحًا للوصول إلى الله تعالى. وقد دافع عن التصوف في العديد من كتبه، منها "إحياء علوم الدين" و"المنقذ من الضلال".[١]
- وضع أسس نظرية التصوف. قام الغزالي بوضع أسس نظرية التصوف من خلال تحليله للمصطلحات الصوفية وشرحه لمفاهيمها الأساسية. وقد ساهم ذلك في تطوير التصوف وجعله أكثر وضوحًا وفهمًا.
- تأليف العديد من الكتب الصوفية. ألف الغزالي العديد من الكتب الصوفية، منها "إحياء علوم الدين" و"المنقذ من الضلال" و"كيمياء السعادة" و"الرسالة القشيرية". وقد ساهمت هذه الكتب في نشر التصوف وتعريف الناس به.

من أهم آثار الغزالي في أدب التصوف:

- كتاب "إحياء علوم الدين": وهو من أشهر كتب الغزالي وأكثرها تأثيرًا في أدب التصوف. يتناول الكتاب جميع جوانب الدين الإسلامي، بما في ذلك التصوف. وقد ساهم هذا الكتاب في نشر التصوف وتعريف الناس به.
- كتاب "المنقذ من الضلال": وهو كتاب يتناول قضايا العقيدة والتصوف. وقد دافع الغزالي في هذا الكتاب عن التصوف واعتبره طريقًا صحيحًا للوصول إلى الله تعالى.
- كتاب "كيمياء السعادة": وهو كتاب يتناول أخلاقيات التصوف. وقد ركز الغزالي في هذا الكتاب على أهمية الأخلاق في التصوف.
- كتاب "الرسالة القشيرية": وهو كتاب يتناول مصطلحات التصوف وشرحها. وقد ساهم هذا الكتاب في توضيح المفاهيم الأساسية للتصوف.

لقد كان للإمام الغزالي دور كبير في تطوير أدب التصوف وجعله أكثر وضوحًا وفهمًا. وقد ساهمت مساهماته في انتشار التصوف وتعريف الناس به.

[١] كتاب "الذريعة إلى تصانيف الغزالي" /للإمام محمد بن علي بن الحسن الطوسي

محي الدين ابن عربي والحبّ الإلهي

"هو محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد الله الحاتمي، من ولد عبد الله بن حاتم أخي عدي بن حاتم، من قبيلة طيّ مهد النبوغ والتفوق العقلي في جاهليتها وإسلامها. يُكْنَى أبا بكر ويُلقب بمحي الدين، ويُعرف بالحاتمي وبابن عربي لدى أهل المشرق، تفريقًا بينه وبين القاضي أبي بكر بن العربي، وبابن العربي لدى المغاربة. وكما يُسَمِّي هو نفسَه في كتبه، ويُعرف في الأندلس بابن سراقة، ويصعد به نسب خئولته إلى الأنصار.وقد وهبه الله للدنيا في ليلة خالدة في تاريخ الإسلام، ليلة تتجدَّد ذكراها كلما نطق مسلم بكلمة التوحيد وهتاف الإيمان؛ إذ كان مولده في يوم الإثنين سابع عشر من رمضان عام ٥٦٠هـ في "مُرْسِية". وكان ولادته في الشهر الذي أُنزل فيه القرآن وهبط وحي السماء، وفي اليوم المماثل ليوم الفتح والنصر، يوم بَدْر الأغر الميمون، وُلد تحت ظلال تلك الذكرى؛ فكان فتحًا ونصرًا. ومرسية مهبط مولده بلد إسلامي، أنشأه المسلمون في الأندلس في أيام الأمويين، وهي في شرق الأندلس، إحدى مفاتن الجزيرة الخضراء بكثرة المَنَازِه والبساتين ودُور العلم ومساجد الطاعة والعبادة."[١]

ومن معظم مساهماته لأدب التصوف ترجمان الأشواق ويزعم فيه الشيخ الأكبر بأن دينه دين الحبّ حيث يقول :

"أدين بدين الحب أنّى توجّهت

ركائبه فالحبّ ديني وإيماني"[٢]

"كذلك في الفهم الصوفي، يكون الحب غير قابل للتحديد أو التعريف بشكل دقيق، ولا يمكن شرح حقائقه بالكامل. يمكن تحديده فقط بواسطة اللفظ ويتم التعرف عليه من خلال التقليد والثقافة، أو كما يعتقد بعضهم. يقول محي الدين: "من حاول تحديد الحب لم يفهمه حقيقة، ومن لم يجربه بشكل عميق لم يعرفه. ومن قال: رأيت منه ما يعرف الحب، فالحب هو تجربة لا تُفسر بالكلمات فقط." يعتقد بعض المحجوبين أنهم تذوقوا الحب ولم يشعروا بالعطش بعد ذلك. ويقول أبو اليزيد: الحب يجعل الإنسان يشعر وكأنه يجتاح المحيطات ولسانه يعجز عن وصف شدة العطش الذي يشعر به.

هذا هو الحب، شعور يجدد نفسه باستمرار، وشوق لا يتوقف، وعطش لا ينتهي ليس له حدود أو نهاية. إنه يتجدد مع كل نفس يأخذها المحب، والشوق إليه لا ينتهي أبدًا لأن الحق ليس له نهاية. كلما وصل المحب إلى حالة جديدة، يدرك أن هناك مزيدًا وأعمق خلفها، ويقول الإمام الغزالي: "عندما تصل إلى مرحلة معينة من الحب، تدرك حقيقتها ومعناها"٣

"وكل محب يعيش حبه بحسب شغفه وقدراته. يقول الشبلي: "شربت أنا والحلّاج من نفس الكأس، ولكننا استفيقنا بعد ذلك بحالات مختلفة، وسلك كل منا طريقه الخاص."

ويقدّم طه عبد الباقي السرور في كتابه محي الدين ابن عربي بأنّه "يروي محي الدين في الفتوحات صفات المحبة عند العارفين، فيقول: إن المحبين لله شُقَّ لهم عن قلوبهم، فأبصروا بنور القلوب عن جلال الله؛ فصارت أبدانهم دنيوية، وأرواحهم حجبية، وعقولهم سماوية، تسرح بين صنوف الملائكة، وتشاهد تلك الأمور باليقين؛ فيعبدون بمبلغ استطاعتهم

[١] محي الدين ابن عربي / طه عبد الباقي سرور/ مولده ونشأته : صفحة

[٣] المصدر السابق: صفحة

حبًّا له، لا طمعًا في جنة ولا خوفًا من نار. ويقول طه عبد الباقي في مكان آخر "يقول محيي الدين: إن الله سبحانه هو الذي بدأنا بالمحبة تفضلًا منه فخلقنا، وهو تعالى لا يخلق إلا ما أحب، ومِن حُبِّه لنا: بعثَ الرسل إلينا؛ لتعلِّمنا الأعمال التي تؤدي إلى سعادتنا، ثم أخبرنا أن رحمته سبقتْ غضبه، وأن أشقى الأشقياء مشمول بالرحمة والعناية وإلا هلك"[١]

الحسين بن منصور الحلاج

"هو الصوفيُّ الأكثر إثارةً للجدل في التاريخ الإسلامي، والأعمق أثرًا. فكان وسيظلُّ "الحلاج" نموذجًا لافتًا في تاريخ الإنسانية. يقف أمامه الكثيرون من الباحثين عن معنى الحب الإلهي، والمتأملين في فلسفته التي تُعدُّ صفحةً مشرقةً من صفحات التراث الإنسانيّ، وتدين بالفضل لفيلسوفٍ وشاعرٍ عربيٍّ مسلمٍ، استطاع باتساع أفقه أن يقفز على أسوار المذهبية والطائفية، ويجعل من مأساته الخاصة موردًا عذبًا تنهل منه العقول والقلوب في كلّ مكانٍ وزمانٍ، ومصدرَ إلهامٍ لكلّ أحرار العالم الذين يحلِّقون بأرواحهم وأذهانهم في سماءات الحرية. ويُعدُّ الحلاج أحدَ أهمّ أقطاب التصوُّف الإسلاميّ الذين اصطدموا بالسلطة الحاكمة الغاشمة، ودفعوا حياتهم ثمنًا لصدقهم."[٢]

"كانت حياته، من نقاط التحول والتطور في الأفق الصوفي، ومن مطالع النماء والخصوبة في التفكير الروحي، وإلى الحلَّاج ترجع الأصول الكبرى لذلك التراث الإسلامي العالمي، الذي شكل في محيط الفكر الصوفي، أعظم القوى الروحانية الإيمانية التي عرفها تاريخ الإنسان.والتصوف عند الحلَّاج، هو انتساب الإنسان إلى الله سبحانه، لا إلى هذا العالم المادي الحيواني، هو ارتفاع الإنسان إلى الله في سفرٍ طويلٍ هائلٍ، لا تقدر عليه إلا عزمات الرجال الكبار، المصطفين الأحرار.سفرٌ تفنى فيه الصفات البشرية، في الصفات الإلهية، فناء طاعةٍ وعبوديةٍ، وحبٍّ ووجدٍ، وذوقٍ وشوقٍ."[٣]

ولقد حمل الحلَّاج أمانة المعرفة الصوفية العليا وعاشها بروحه وقلبه وحسه، وقدم دمه فداءً لها في بطولةٍ أسطوريةٍ لا يزال شعاعها وإلهامها يومض عبر التاريخ. كانت تجربة الحلَّاج الصوفية من أصدق وأخلص ما عرف تاريخ التصوف، وهذا سرُّ ما فيها من عمقٍ، ومن حرارةٍ، ومن إلهامٍ.

لقد صعد في معارجها بجناحٍ جبار من أجنحة الحب والوجد، ووهبها كل ذرات روحه وهتافات قلبه، وأماني حسه، وحمل قيثارته ليهب للخلود، إلهامات حبه ومعرفته وتجربته.

يقول الحلَّاج مصورًا حبه ووجده:

"الله يعلم ما في النفس جارحة إلا وذكرك فيها نيل ما فيها

ولا تنفستُ إلا كنتَ في نفسي تجري بك الروح مني في مجاريها

إذ كانت العين مذ فارقتها نظرت إلى سواك فخانتها مآقيها

أو كانت النفس بعد البعد آلفةً خلفًا عداك فلا نالت أمانيها"[٤]

---

[١] - ترجمان الأشواق/محيي الدين ابن عربي/تناوحت الارواح/ص-٤٥

[٢] - الحسين بن منصور الحلاج: شهيد التصوف الإسلامي/ طه عبد الباقي سرور/ الحلاج وأدب السلوك الصوفي

[٣] - المصدر السابق: صفحة

[٤] - المصدر السابق: صفحة

"ويقول الحلَّاج عن الخواص العارفين: فالخواصُّ عباده الذين محاهم عن شواهدهم، وصانهم عن أسباب الفرقة، باستهلاكهم في شهوده، واستغراقهم في وجوده، فأيُّ سبيلٍ للشيطان إليهم! وأيُّ يدٍ للعدو عليهم! ومن أشهده الحق حقائق التوحيد، ورأى العالَم معترفًا في ثقة التقدير، لم يكن نهبًا للأغيار، فمتى يكون للغير عليه تسلطٌ"[١]

تأثير الحب:

للحبّ والعطف في أدب التصوف تأثيرٌ كبيرٌ على المجتمع، فهو يُساعد على نشر المحبة والتسامح والرحمة بين الناس. فالحبّ الإلهي هو أساس التصوف، وهو الذي يُلهم الصوفي أن يحبّ الناس ويرحمهم. أما العطف فهو تعبير عن هذه المحبة، وهو الذي يدفع الصوفي إلى مساعدة الآخرين وتقديم العون لهم.

وقد ظهرت آثار هذا التأثير في المجتمع الإسلامي منذ ظهور التصوف. الصوفية قد ساهموا في نشر المحبة والتسامح بين الناس، وحثّوا على مساعدة المحتاجين والفقراء. كما أنهم قد أسسوا العديد من المؤسسات الخيرية التي تُعنى بمساعدة الناس.

وفيما يلي بعض الآثار التي أحدثها الحبّ والعطف في أدب التصوف على المجتمع:

- نشر المحبة والتسامح: حثّ أدب التصوف الناس على حبّ بعضهم البعض والتسامح مع اختلافاتهم. فصور الصوفية الحبّ الإلهي في صورةٍ جميلةٍ، وحثّوا على السير على طريقه.
- مساعدة المحتاجين: حثّ أدب التصوف الناس على مساعدة المحتاجين والفقراء. فقد صور الصوفية العطف في صورةٍ جميلةٍ، وحثّوا على بذل الخير للآخرين.
- تأسيس المؤسسات الخيرية: أسس الصوفية العديد من المؤسسات الخيرية التي تُعنى بمساعدة الناس. فساهموا في بناء المساجد والمدارس والمستشفيات، كما ساعدوا المحتاجين والفقراء.

وعلى الرغم من أنّ بعض الصوفية قد انحرفوا عن هذه المبادئ، إلا أنّ التأثير العام لأدب التصوف على المجتمع الإسلامي كان إيجابياً. فقد ساهم في نشر المحبة والتسامح والرحمة بين الناس، وساعد على بناء مجتمعٍ أكثر عدلاً ورحمة.

التوصيات:

يمكن تقديم بعض التوصيات التالية:

- التأكيد على أهمية المحبّة والعطف في حياتنا اليومية.
- نشر ثقافة المحبة والتسامح والرحمة بين الناس.
- تربية النشء على هذه القيم منذ الصغر.

[١] - المصدر السابق: صفحة

الخاتمة :

في ختام هذه المقالة، يمكن القول أن المحبّة والعطف من أهمّ المفاهيم في أدب التصوف. فهي تُعدّان من أقوى الوسائل التي تُساعد الصوفي على الوصول إلى الله تعالى. فالحبّ الإلهي هو الدافع الأساسي للسير على طريق الكمال، وهو الذي يُلهم الصوفي الصبر على الشدائد والمحن. أما العطف فهو تعبير عن كمال الإيمان وحبّ الخير للجميع.

لقد صوّر شعراء الصوفية المحبّة والعطف في صورٍ وتعبيراتٍ جميلة ومتنوعة. فوصفوا المحبّة الإلهية بأنها نارٌ مشتعلة في قلب الصوفي، كما وصفوها بأنها بحرٌ عميق لا ساحل له. أما العطف فقد صوّروه بأنه رقة قلبٍ ورأفة بالخلق. إنّ المحبّة والعطف هما من القيم الإنسانية النبيلة التي يجب أن يتحلّى بها كلّ إنسان. فهما يُساعدان على بناء مجتمعٍ أكثر عدلاً ورحمة. فهذه القيم هي من أهمّ القيم التي تُساعد على بناء مجتمعٍ سليمٍ وعادل.

ختامًا، نأمل أن تكون هذه المقالة قد قدّمت صورةً واضحةً عن المحبّة والعطف في أدب التصوف.

المصادروالمراجع

1. الحسين بن منصور الحلاج: شهيد التصوف الإسلامي - طه عبد الباقي سرور
2. محيي الدين ابن عربي - طه عبد الباقي سرور
3. ترجمان الأشواق - محيي الدين ابن عربي
4. كتاب "الذريعة إلى تصانيف الغزالي" - للإمام محمد بن علي بن الحسن الطوسي
5. التصوف والمتصوفة - عبد الله حسين
6. قلائد الجواهر في مناقب الشيخ عبد القادر- الشيخ محمّد بن يحي التادفي
7. الغنّية - شيخ عبد القادر الجيلاني
8. المثنوي- مولانا جلال الدين رومي
9. ديوان الحلّاج
10. ابن عربي في فتوحاته
11. لسان العرب - محمّد بن مكرّم بن منظور
12. التّصوّف: ثورة الروحية في الإسلام - أبو العلاء العفيفي